الحِذاءُ الجَديدُ

لَمْ يَدْرِ أَيَّ فَرَحٍ عَظِيمٍ سَيَمْلَأُ جوانِحَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ, عِنْدَمَا يَنْتَعِلُ الحِذَاءَ الجَدِيدَ. كَانَ مِرَارًا يَتَخَيَّلُ بِأَنَّهُ يَنْتَعِلُهُ, لَوْلَا أَنَّ رِجْلَيْهِ اللّٰتَيْنِ كَانَتَا تَتَضَايَقَانِ مِنْ بَعْضِ الحُصَى تُذَكِّرُهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَنْتَعِلْهُ بَعْدُ, وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَدَّخِرَ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهِ لِيَحْصُلَ عَلَى حِذَاءٍ جَدِيدٍ.

إِنَّهُ الآنَ أَمَامَ الوَاجِهَةِ الزُّجَاجِيَّةِ, وَعَيْنَاهُ عَلَى حِذَائِهِ الْمُفَضَّلِ, يَتَحَسَّسُ الدَّرَاهِمَ الَّتِي فِي جَيْبِهِ, لِيَتَيَقَّنَ مِنْ جَدِيدٍ بِأَنَّهُ سَيَمْتَلِكُ الحِذَاءَ, وَلِيَتَأَكَّدَ أَكْثَرَ, دَخَلَ إِلَى الدُّكَّانِ يَطْلُبُ الحِذَاءَ, وَعِنْدَمَا سَأَلَهُ صَاحِبُ الأَحْذِيَةِ عَنْ مَقَاسِهِ, لَمْ يَجِدْ جَوَابًا, غَيْرَ أَنَّ صَاحِبَ الأَحْذِيَةِ عِنْدَمَا أَلْقَى بِبَصَرِهِ عَلَى رِجْلَيْهِ أَدْرَكَ بِأَنَّ مَقَاسَهُ وَاحِدٌ وَأَرْبَعُونَ, فَأَخْرَجَ لَهُ حِذَاءً طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْتَعِلَهُ, وَمَسَحَ هُوَ بِيَدِهِ قَدَمَيْهِ مِنَ التُّرَابِ قَبْلَ أَنْ يُولِجَ القَدَمَ الْيُمْنَى, وَتَطَلَّعَ إِلَى صَاحِبِ الأَحْذِيَةِ, وَهُوَ يُحَرِّكُ قَدَمَهُ فِي الحِذَاءِ, فَأَشَارَ لَهُ بِأَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْمِرْآةِ الَّتِي أَمَامَهُ, فَنَظَرَ إِلَيْهَا, وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ عَيْنَيْهِ بِأَنَّ بِقَدَمِهِ حِذَاءً جَدِيدًا.

وَدَاهَمَهُ شُعُورُ الفَرَحِ وَهُوَ يَتَخَيَّلُ حِذَاءَهُ الجَدِيدَ, وَغَرِقَ فِي ابْتِهَاجٍ جَارِفٍ كَادَ يُنْسِيهِ أَنْ يَدْفَعَ الدَّرَاهِمَ لِصَاحِبِهَا.. وَعِنْدَمَا وَدَّعَ صَاحِبَ الأَحْذِيَةِ, احْتَضَنَ حِذَاءَهُ, وَانْطَلَقَ مُسْرِعًا نَحْوَ البَيْتِ لِيَنْتَعِلَهُ.

مَا أَجْمَلَ أَنْ يَنْتَعِلَ الْمَرْءُ حِذَاءً جَدِيدًا, وَيَخْرُجَ هُوَ الآخَرُ إِلَى الشَّارِعِ مِنْ غَيْرِ خَجَلٍ, وَأَنْ يَتَلَذَّذَ النُّعُومَةَ الَّتِي تُدَغْدِغُ بَاطِنَ الرِّجْلِ... وَأَلْقَى نَظَرَاتٍ خَاطِفَةً عَلَى الْمَارَّةِ مِنْ حَوْلِهِ, وَهُمْ يَمْشُونَ الْهُوَيْنَى, وَبَرِيقُ أَحْذِيَتِهِمْ يَنْتَقِلُ إِلَى وُجُوهِهِمْ. سَيَكُونُ بَيْنَهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ وَسَيَرْفَعُ رَأْسَهُ عَالِيًا, وَلَنْ يُحِسَّ بِالْحُصَى الَّتِي تُعَاكِسُ قَدَمَيْهِ, وَلَا المِسْمَارَ الصَّغِيرَ بِقَدَمِهِ الْيُسْرَى.

وَوَصَلَ الزُّقَاقَ الَّذِي يَسْكُنُهُ وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ بِأَنَّهُ يَمْتَلِكُ, كَالآخَرِينَ, حِذَاءً جَدِيدًا.. وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ تَوَقَّفَ عِنْدَ الدُّكَّانِ كَعَادَتِهِ, لِيَشْتَرِيَ عَشَاءَهُ: عُلْبَةَ سَمَكٍ, وَنِصْفَ خُبْزَةٍ, وَقَلِيلًا مِنَ السُّكَّرِ وَالشَّايِ..

سَيَضَعُ ذَلِكَ بِالبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ بِحِذَائِهِ إِلَى الشَّارِعِ..

وَسَأَلَهُ صَاحِبُ الدُّكَّانِ: مَاذَا تَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْكَ يَا عَبَّاسُ؟

فَأَجَابَهُ وَبَرِيقُ عَيْنَيْهِ يَلْمَعُ كَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُشْرِكَهُ فَرَحَهُ: اُنْظُرْ.... إِنَّهُ حِذَاءٌ جَدِيدٌ.... وَتَسَلَّمَهُ صَاحِبُ الدُّكَّانِ مِنْهُ, وَتَأَمَّلَهُ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَقُولَ: تَجِدُ الْمَالَ لِتَشْتَرِيَ الحِذَاءَ, وَلَا تَجِدُهُ لِتُسَدِّدَ مَا عَلَيْكَ مِنْ دَيْنٍ... :

وَعَلَتْ وَجْهَهُ حُمْرَةُ الخَجَلِ, إِنَّهُ لَا يَجِدُ مَا يَقُولُ... وَتَنَحْنَحَ... وَتَلَعْثَمَ لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا.... وَوَضَعَ صَاحِبُ الدُّكَّانِ الحِذَاءَ فِي الدَّاخِلِ, وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى زَبُونٍ كَانَ يَطْلُبُ مِنْهُ بَعْضَ الحَاجِيَاتِ.... وَانْتَظَرَهُ عَبَّاسُ إِلَى أَنِ انْتَهَى, ثُمَّ سَأَلَهُ: كَيْفَ وَجَدْتَ الحِذَاءَ؟ أَلَيْسَ جَمِيلًا...؟ وَأَجَابَهُ صَاحِبُ الدُّكَّانِ:

أَتَسْتَهْزِئُ بِي...؟ إِنِّي أَجِدُكَ مَعْتُوهًا...؟ لَا تُقَدِّرُ مَنْ يُقَدِّمُ لَكَ الْمُسَاعَدَةَ... دَائِمًا تَسْتَدِينُ مِنِّي, وَبَدَلَ أَنْ تَدْفَعَ لِي, تَشْتَرِي حِذَاءً جَدِيدًا... وَخَفَضَ بَصَرَهُ وَهُوَ يَعْتَذِرُ: أَنْتَ لَا تُدْرِكُ مِقْدَارَ الخَجَلِ الَّذِي أَشْعُرُ بِهِ, وَأَنَا أَنْتَعِلُ حِذَائِي هَذَا... اُنْظُرْ... إِنَّ أَصَابِعَ قَدَمِي تَظْهَرُ مِنْهُ.. وَلَمْ يَنْظُرْ صَاحِبُ الدُّكَّانِ إِلَى قَدَمَيْهِ, بَلْ كَانَ يُلْقِي عَلَيْهِ نَبَأً أَطَارَ صَوَابَهُ: لَنْ تَأْخُذَ الحِذَاءَ الجَدِيدَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُؤَدِّيَ مَا عَلَيْكَ مِنْ دَيْنٍ... وَاشْتَدَّ غَضَبُ عَبَّاسٍ, وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ مَا سَمِعَهُ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ... لَا شَكَّ أَنَّكَ تَمْزَحُ مَعِي... قُلْ لِي أَنَّكَ تَمْزَحُ مَعِي فَقَطْ... هَاتِ الحِذَاءَ, أَنَا لَا أَقْبَلُ مِزَاحًا مِنْ هَذَا النَّوْعِ, وَرَفَّ صَاحِبُ الدُّكَّانِ الحِذَاءَ الجَدِيدَ بَيْنَ يَدَيْهِ, وَدَخَلَ بِهِ نَحْوَ خِزَانَةٍ حَدِيدِيَّةٍ حَيْثُ فَتَحَهَا, وَرَمَى بِهِ دَاخِلَهَا, لِيَسْتَقِرَّ بَيْنَ الرَّهَائِنِ الأُخْرَى, وَرَجَعَ إِلَى عَبَّاس يَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ فِي مَأْمَنٍ, وَلَنْ تَخْشَى عَلَيْهِ مِنَ السَّرِقَةِ إِنَّهُ دَاخِلَ الحَدِيدِ.. وَأَجَابَهُ عَبَّاسُ وَهُوَ يَكْتُمُ غَيْظَهُ: وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْتَعِلَهُ... فَأَجَابَهُ صَاحِبُ الدُّكَّانِ بِسُرْعَةٍ: عِنْدَمَا تُؤَدِّي دَيْنَكَ. ثُمَّ اهْتَمَّ بِزَبَائِنِهِ...

محمد إبراهيم بوعلو، المجموعة القصصية السقف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1975، المغرب، ص 148 وما بعدها، بتصرف .

LIVEWORKSHEETS